

"التثقيف المعرفي ودوره في صناعة الشخصية العراقية وفي بناء مجتمع المواطنة"د.إبتهال عبد الجواد كاظم¹ * د.حارث علي حسن العبيدي²¹ جامعة الموصل (العراق)، harithali@yahoo.com

تاريخ النشر: 2025/12/10

تاريخ القبول: 2025/11/02

تاريخ الاستلام: 2023/04/07

ملخص:

تمثل المعرفة قدرة الفرد على استيعاب وإدراك ما يدور حوله من حقائق. لذلك تتشكل البنية الذهنية للفرد في إطارها الارتقائي من خلال السعي الى احتواء الحياة الاجتماعية بصيغ تجمع الاتجاهات المعرفية. اما اليوم ونحن نعيش تطورات معرفية وتكنولوجية انفجارية، تتخللها تغيرات سريعة قد تطل المنظومة القيمية في مجتمعاتنا العربية، مما تخلق ابعاداً على مستوى الفرد والمؤسسة والمجتمع، فانه لا بد من التثقيف المعرفي بقصد الوصول الى اعادة انتاج الذات الانسانية، والمساهمة في بناء شخصية متعددة الابعاد. لذلك يمكن ان يكون ذلك حلاً تنموياً قد يسهم في بيان الصيغة السلوكية المناسبة لما نطمح اليه في الشخصية، وبما يلائم واقع المجتمع العربي ومنه العراقي. وعليه ارتأينا اجراء هذه الدراسة بهدف تسليط الضوء على دور العملية التثقيفية بجانبها المعرفي في صناعة الشخصية في ظل متغيرات العصر. ومعرفة ابعادها وانعكاساتها على الذات، فضلاً عن مدى توظيفها تنموياً في بناء مفهوم المواطنة في مجتمعنا العراقي. وذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت الى عدد من النتائج منها، ان العملية التثقيفية تؤدي دوراً مهماً في بناء الشخصية بجانبها المعرفي والفكري، بالشكل الذي يؤثر في الذات العراقية ويسمو بها الى فهم ايجابي ببناء مفهوم المواطنة، وتوظيفه في تنمية المجتمع. واشتملت الدراسة على اربعة مباحث مع مقدمة وخاتمة.

كلمات مفتاحية: الثقافة، المعرفة، الشخصية، المجتمع، المواطنة**Abstract:**

Knowledge represents the individual's ability to assimilate and perceive the facts around him. Therefore, the mental structure of the individual is formed in its evolutionary framework by seeking to contain social life in formulas that combine cognitive trends. Today, as we live explosive cognitive and technological developments, punctuated by rapid changes that may affect the value system in our Arab societies, which create dimensions at the level of the individual, the institution and society. It is necessary to educate knowledge in order to reach the reproduction of the human self, and to contribute to building a multi-dimensional

personality. Therefore, this could be a developmental solution that may contribute to clarifying the appropriate behavioral formula for what we aspire to in the personality, and in a manner that suits the reality of Arab society, including the Iraqi one. Accordingly, we decided to conduct this study with the aim of shedding light on the role of the educational process and its cognitive aspect in creating personality in light of the changes of the times. And knowledge of its dimensions and repercussions on the self, as well as the extent of its developmental employment in building the concept of citizenship in our Iraqi society. This is based on the descriptive analytical method. And it reached a number of results, including that the educational process plays an important role in building the personality with its cognitive and intellectual aspect, in a way that affects the Iraqi self and elevates it to a positive, constructive understanding of the concept of citizenship, and its use in the development of society. The study included four sections with an introduction and a conclusion.

Keywords: Culture, Knowledge, Society, Personal, Citizenship

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

ان إحتواء العالم من خلال الاستزادة المعرفية، يجسد حالة الوعي الانساني في بلورة الافكار الناجمة عن تنشيط حالة الادراك للموضوعات في اتجاهات مختلفة. اذ تسمو الصفة العقلانية في التصورات الذهنية للفرد وبشكل لا يتجاوز ذاتيته التي تضي عليها البيئة الاجتماعية صبغتها الخاصة. ففي خضم هذا السعي المعرفي تتشكل الذات من التركيب التواصلي مع العالم المادي والانساني، حيث رؤية الفرد مزيج بيئة ثقافية في قالب تفرد يوصم الشخصية عموماً، بهجين تتضح معالمه في الممارسات الحياتية المتنوعة، لتكوّن للشخصية المحلية طابعاً يسجل ملامح هوية اجتماعية استوطنت في الاشكال الصوتية والمظهرية للاطار السلوكي للفرد، والذي انبثق من حالة السعي للمعرفة والوصول الى مستوى متنوع من الفهم والوعي.

اما اليوم فهناك تطورات معرفية وتكنولوجية انفجارية، تزامنت معها تغيرات سريعة طالت المنظومة القيمية في مجتمعاتنا العربية، مما قد تخلق ابعاداً وانعكاسات على مستوى الفرد والمؤسسة والمجتمع، فانه لابد من التثقيف المعرفي للوصول الى اعادة انتاج الذات الانسانية، والمساهمة في بناء شخصيته بأبعادها المتعددة. وعليه فان الاستثمار في الثقافة والمعرفة سيصب في روافد الشخصية، من خلال عملية تثقيفية دقيقة تمر عبر مراحل مختلفة تناسب والمرحلة العمرية للإنسان. لذلك قد يؤدي الى نشوء قيم وانماط سلوكية ومفردات ومفاهيم لغوية، من الممكن ان تعمل على تنمية الشخصية العربية في مختلف مناحي الحياة. ان تصورات الفرد عن نفسه تتجلى في احد مستوياتها الفكرية من تكيف الاختلافات بفعل المعطيات المعرفية المتنوعة، لترسم ملامح الشخصية وتقدم هويتها. لذلك كان التثقيف المعرفي حلاً تنموياً قد يسهم في بيان الصيغة السلوكية المناسبة لما نطمح اليه في الشخصية العربية، وبما يلائم واقع المجتمع العربي ومنه العراقي. ومن هنا كانت مشكلة الدراسة والتي ستمحور في التساؤلات.. ما طبيعة التثقيف المعرفي؟ ما تأثيره في الذات الانسانية؟ ما دور التثقيف المعرفي في صناعة الشخصية وتحقيق التنمية الفكرية؟ ما دورها في بناء المواطنة في المجتمع العربي؟

وعليه ارتأينا اجراء هذه الدراسة كمحاولة متواضعة بهدف تسليط الضوء على دور العملية التثقيفية بجانبها المعرفي في صناعة الشخصية في ظل متغيرات العصر. ومعرفة ابعادها وانعكاساتها على الذات، فضلاً عن مدى توظيفها تنموياً في بناء مفهوم المواطنة في مجتمعنا العراقي. وذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي. اما اهمية الدراسة فتتجلى في ناحيتين، الاولى نظرية، تتجسد في مدى افادتها للدراسات والبحوث النفسية والاجتماعية والانثروبولوجية اللاحقة، ودورها في نشر الوعي المعرفي والفكري والارتقاء بالشخصية. اما الثانية تطبيقية، فتتمثل في نسبة توظيف نتائج الدراسة في مجالات التنمية البشرية والاجتماعية والثقافية. واشتملت الدراسة على اربعة مباحث مع مقدمة وخاتمة.

1-الاطار النظري

1-2 تحديد المصطلحات

ان اهم المصطلحات والمفاهيم العلمية الاساسية في البحث، سنقوم بتعريفها وتبيان دورها في موضعها في محاور البحث لاحقاً.

2-1-2 الثقافة والمواطنة والهوية

1-2-1-2 Culture الثقافة

ان الثقافة تتضمن القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والإيديولوجيات وكافة الإنتاج العقلي، كما تشير كذلك إلى النمط الكلي لحياة شعب من الشعوب، ويدخل في نطاق هذه الحياة العلاقات الشخصية بين الأفراد (حجازي، 2006). وعرفها (تايلور) بأنها "الكل المعقد الذي يجمع المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات وأية قدرات سلوكية اكتسبها المجتمع البشري" (Alvin, 1973). أما العالم بواز Boas، فعرفها على أنها "تضم كل مظاهر العادات الاجتماعية في جماعة ما، وكل ردود أفعال الفرد المتأثرة بعادات المجموعة التي يعيش فيها، وكل منتجات الأنشطة الإنسانية التي تتحدد بتلك العادات" (Boas, 1930). ويمكن أن تشكل الثقافة الوعاء الذي يضم الآثار الفنية والبضائع والوسائل التقنية والأفكار والسلوكيات والقيم (Encyclopedia of social sciences , 1962). وتشمل مجموعة من الممارسات والتصورات المرتبطة بهويات شتى، ثقافات المهن، ثقافات الاثنيات، الثقافات الخاصة بكل فئة من فئات العمر، الثقافات المحلية، الخ (مؤلفين، 2007). وعليه يمكننا أن نعرف الثقافة على أنها مجموعة العناصر الثقافية المادية والمعنوية التي يكتسبها الفرد خلال حياته بوصفه عضواً في مجتمع معين، بغض النظر عن نمط وطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، بدائياً كان أم معاصراً. أما في إطارها المعرفي، تعبر عن مكتسبات معرفية متنوعة، يكتسب بموجبها الفرد المعارف التي تمنحه القدرة على النقاش والحوار المتميز وتقبل ثقافات الآخر. فيتسم بذلك المثقف بالوعي والاطلاع وسعة الأفق الذي يقدهه الثراء المعرفي (العباسي،

2022/9/16). لذا فإن الثقافة معرفياً: تعني سلوك الفرد في ثلاثة محاور، الأول، تفعيل المعرفة بنشرها واكتسابها وتوليدها بالإبداع وتوظيفها على المستوى الشخصي والعام، والمحور الثاني، تفعيل التعامل الإيجابي مع الآخرين، والانتفاع من المعارف المختلفة، ويشير المحور الثالث، إلى توكي الحكمة والتفاهم والانسجام وتحقيق المصلحة العامة (بكري س.). بوصف المعرفة Knowledge، عملية تربط بين شخص ومادة، وهي كالمعتقدات والأيدولوجيات قد تفهم من زاوية تشكيلها وسياقها الاجتماعي (فيربول، 2011). أما فوكو فيرى بأنها: "شبكة منظومية تتضمن كل الأنماط المعرفية في حقبة زمنية معينة" (أبو عزام، 2021).

هناك اتجاهان نظرا إلى مفهوم الثقافة، الأول وجدها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والإيديولوجيات وكافة الإنتاج العقلي، أما الاتجاه الثاني فيرى أن الثقافة تشير إلى النمط الكلي لحياة شعب من الشعوب، ويدخل في نطاق هذه الحياة العلاقات الشخصية بين الأفراد (حجازي، 2006). ويمكن أن تشكل الثقافة، الوعاء الذي يضم الآثار الفنية والبضائع والوسائل التقنية والأفكار والسلوكيات والقيم (Encyclopedia of social sciences the Macmillan، 1962). وكذلك تعني مجموعة من العناصر، لها علاقة بطرائق التفكير والشعور والسلوك، وهذه الطرائق صيغت في قواعد واضحة نوعاً ما والتي تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آن معاً، من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة ومميزة (روشي، 1983). وبالتالي ستمثل الشخصية Personality الوعاء الذي تصب فيه معظم هذه المفاهيم، لتؤدي إلى إنتاج شخصية ذات سمات سيكوسوسيولوجية في بعدها الثقافي. فهي مجموعة من الخصائص الذاتية المميزة للفرد وتضم الصفات والنزعات الانفعالية والسلوكية في الحياة اليومية بصورة مستمرة ومتوقعة (الشربيني، 2004). كما تعرف بأنها "نظام متكامل من مجموعة الخصائص الحسية والوجدانية والزوعية والادراكية التي تعين صعوبة الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد تمييزاً بيتاً وكما تبدو للناس أثناء التعامل اليومي الذي تقتضيه الحياة

الاجتماعية" (بدوي، 1993). وتشمل مجموعة من الممارسات والتصورات المرتبطة بهويات شتى، ثقافات المهن، ثقافات الإثنيات، الثقافات الخاصة بكل فئة من فئات العمر، الثقافات المحلية، الخ (مؤلفين، 2007). اذن الثقافة وجدت مع وجود الإنسان مؤسس المجتمع، بدءاً من صراعه مع البيئة الطبيعية بهدف بقائه ووجوده. فلا ثقافة بدون مجتمع، ولا مجتمع بلا ثقافة، بوصفها أسلوب حياة أفراد المجتمع، ومجمل تراثه الاجتماعي المكتسب عبر الأجيال، على اختلاف طبيعته وأنماطه، سواء أكان بدائياً أم متقدماً، ريفياً أم بدوياً أم حضرياً.

ومن هنا اختلف وتنوعت سمات وخصائص الثقافة. فهي إنسانية اجتماعية، فالإنسان كائن اجتماعي بالطبع، أي لا يستطيع العيش بمفرده، وإشباع حاجاته المتنوعة والمختلفة. لذا فإن الثقافة اجتماعية بطبيعتها، وأن الأفراد الذين يعيشون في جماعات أو مجتمعات منظمة لابد أن يشتركوا في ثقافة معينة، وهي التي تجعلهم يميلون إلى أداء الأفعال بالطريقة نفسها تقريباً (حجازي، 2006). وهي كذلك أفكار يخلقها العقل البشري وينفذها الإنسان بأعضائه ويغيرها من الأدوات والآلات التي يصنعها، ولا خلاف على أن العقل (القدرة على التفكير والاختراع) هو قدرة خاصة بالإنسان وحده (الخطيب، 2005). وان الإنسان اختص بامتلاكه للثقافة بين الكائنات الأخرى في الحياة. وتتسم كذلك انها مكتسبة، على اعتبار ان الثقافة موروث اجتماعي عبر الأجيال من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وإخضاع الفرد لسلسلة من التفاعلات الاجتماعية في إطار البيئتين الاجتماعية والإيكولوجية. وهي عملية نقل ثقافة المجتمع إلى الطفل الذي يعيش فيه، أي أن أي طفل بشري مهما كانت السلالة التي ينتمي إليها يستطيع أن يلتقط ثقافة أي مجتمع بشري إذا عاش فيه فترة زمنية كافية (الخطيب، 2005). وهي كذلك انتقالية، أي ان الثقافة تنتقل من جيل إلى جيل في شكل عادات وتقاليد ونظم وأفكار ومعارف يتوارثها الخلف عن السلف عن طريق الوسائل المادية والرموز اللغوية، كما أنها تنتقل من وسط اجتماعي إلى آخر (حجازي، 2006). وعملية الانتقال هذه تتم في صيرورة عبر التنشئة

الاجتماعية التي تحمل القيم الأخلاقية والدينية والروحية والتربوية والعادات والتقاليد، وأنماط السلوك في الحياة الاجتماعية اليومية. والثقافة إشباعية مجزية، وتتشابه مع ثقافات أخرى ناتجة عن الحقيقة القائلة، بأن الدوافع الإنسانية الأساسية تتطلب أشكالاً مماثلة من الإشباع، والثقافة تتغير، وهذه العملية توصف بأنها عملية تكيفية (حجازي، 2006). وتعد الثقافة مجزية وهذه نتيجة مستخلصة من المبدأ السيكلوجي الحديث بشأن المنبه والاستجابة، فالثقافة تتكون من عادات، ولقد اثبت علم النفس أن العادات لا تدوم ولا تترسخ إلا بقدر ما تجد إشباعاً (الخطيب، 2005). أي أنها تبقى ببقاء وظيفتها ودورها في إشباع الحاجات البيولوجية والاجتماعية والوجدانية، سواءً على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع.

ومن سمات الثقافة انها تكيفية توافقية، فالثقافة تتكيف عن طريق الاستعارة والتنظيم وذلك بالنسبة للبيئة الاجتماعية للشعوب المجاورة وتتكيف تبعاً للتغيرات التي تطرأ على مظاهر المتطلبات البيولوجية والسيكلوجية للفرد (حجازي، 2006). وتتوافق مع البيئة الجغرافية والاجتماعية والبيولوجية والسيكلوجية، فكلما تغيرت ظروف الحياة عجزت الأشكال التقليدية عن توفير القدر اللازم من الإشباع، ومن ثم فهي تنكمش، وكلما طهرت حاجات جديدة وأصبحت موضع اقتناع، استخدمت توافقات ثقافية لإشباعها (جابر، 1990). وهذا يؤكد بأن الإنسان لم يخترع الثقافة بهدف التكيف مع البيئة الطبيعية والتوافق مع البيئة الاجتماعية فحسب، بل استطاع ان يكيف البيئة لصالحه، وان يجعلها تسير متوازية مع صفاته وخصائصه الطبيعية والاجتماعية. والثقافة متغيرة متصلة، بمعنى ان التغير قانون الوجود والثبات موت وعدم، وهو سنة الحياة الاجتماعية. وبما ان الثقافة تعد طريقة عيش فإنها لا تبقى ثابتة بدون ديناميكية وحركة. وتتغير ثقافات المجتمعات من وقت لآخر، ولكن تختلف درجة وأسلوب وفحوى التغير من ثقافة لأخرى (الخطيب، 2005). لذا فان الثقافة خاضعة لقانون التغير الذي تخضع له جميع مظاهر الكون، ويشمل عناصرها المادية وغير المادية (حجازي، معجم مصطلحات العلوم

الإنسانية ونظرية الثقافة، 2006). وتكون متنوعة المضمون لدرجة التناقض، ويرجع التباين هذا إلى عوامل عدة منها، العقل البشري والطاقة والبيئة الجغرافية والقيم التي يؤمن بها المجتمع (الخطيب، 2005). وأخيرا فإن الثقافة تمثل كلُّ أو نسيج متداخل، إن الثقافة لا تتكون من مجموعة من الأعمال والأفكار المنعزلة عن بعضها وإنما تتكون من كل متداخل العناصر والقطاعات (الخطيب، 2005). فهي متشابهة الشكل أي أن الإطار الخارجي لنظم الثقافة تتشابه في جميع الثقافات وتصنيفها، ففي كل ثقافة نجد القطاعات الثلاثة وهي القطاع المادي والقطاع الاجتماعي والقطاع الفكري والرمزي (الخطيب، 2005). وهذه القطاعات مختلفة ومتنوعة لكنها تأخذ شكل الاختلاف الذي يؤدي إلى التكامل. فكل قطاع له وظيفة تختلف عن وظيفة القطاع الآخر، لكنها تكمل دورها في عملية إشباع الحاجات الإنسانية، فلا يمكن الاستغناء عن أحدها، بل وجودها شرط لوجود الأخرى لأنها ستمثل حلقة مفقودة قد تسبب تخلخلا في البناء الاجتماعي لأي مجتمع بوصف الثقافة مرجعا وموجها للسلوك الفردي والجماعي في الحياة الاجتماعية اليومية. وقد نفهم الثقافة ككل من خلال فهمنا لجزء من مكوناتها، وفي الوقت ذاته قد نستطيع فهم جزء من الثقافة عندما نفهم الاطار العام للثقافة.

ان الثقافة ومنظومتها القيمية مرت بالعديد من المتغيرات المتسارعة التي تحمل في طياتها أيديولوجية التنميط والاختراق الثقافي، والتي تتجلى في صياغة ثقافة عالمية مُنمَّذجة لها قيم ومعايير وسلوك وعادات وسيطرة ثقافية على الثقافات، عبر استثمار مكتسبات العلوم والتقدم التكنولوجي في مجال ثورة الاتصالات وثورة المعلومات، الأمر الذي قد يؤدي إلى نشوء قيم ثقافية وأنماط سلوكية جديدة، لا تحمل نسبة من الروابط التي تربطها بنظامها الاجتماعي، وهو ما يؤدي بالتالي إلى حدوث تشويش للهوية الثقافية (سليم، 2003). فعندما يتعرض التوازن الثقافي في ثقافة ما، إلى الخلل فإن الثقافة تعاني التفكك والانهيار (وظفة، 1995).

وتأسيساً على ما تقدم فإن التثقيف المعرفي، يمكن ان يمثل التأهيل الذاتي أو الاجتماعي، أو كليهما للفرد، نحو الاستزادة من المعارف المتنوعة، والتأسيس لحالة من الوعي الشمولي الذي يتيح فرص التفكير والحوار البنّاء، واستمرارية تشذيب النموذج المعرفي الخاص، وبما يتماثل مع طبيعة الحياة الاجتماعية. مما يؤشر على مستوى إعداد الشخصية في بناء مجتمع تسوده المواطنة الفاعلة في التنمية والتغيير.

2-2-1-2 المواطنة Citizenship

إن الانسان بوصفه مُخترع الثقافة وبان المجتمع ومُبتكر الحضارة وصانع المدينة، لا يمكن له ان يواجه التحديات المختلفة والمتنوعة التي تصاحب المراحل التاريخية والحضارية، الا بمنظومة قيمية ذات مصفوفة من المفهومات التي تحمل دلالات ومعاني ورميزات متعددة الأبعاد. وهذه تأخذ صفة الخصوصية الثقافية التي تكون نتاج تفاعل وتراكم مراحل تاريخية وحضارية ذات أبعاد بيئية واقتصادية وسياسية ودينية واجتماعية. وهذه الخصوصية الثقافية بمعناها المحلي، تشكل حزمة الثقافات الفرعية التي تصب روافدها في حيز الثقافة الوطنية، والتي تقوم على تشكيل الهوية الوطنية النابعة من تفاعل الهويات المحلية المنصهرة، تحت مظلة التثقيف لمفهوم المواطنة. بوصفها الأصرة والرابط الذي يجمع أفراد المجتمع بمختلف مرجعياتهم وأطيافهم العرقية والدينية واللغوية والقومية، التي ترسم الهوية الوطنية (الأم). لذلك فهي تمثل التساوي في الحقوق والواجبات لكل المواطنين، وتعتمد المواطنة المساواة والحرية والمسؤولية الاجتماعية (معهد، 2014). أو هي تمتع الشخص بحقوق وواجبات وممارستها في بقعة جغرافية معينة لها فلا يكون بموجب ذلك التمييز على أساس الدين أو النوع أو اللون أو العرق أو الموقع الاجتماعي (فوزي، 2007).

إن المواطنة هي صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته داخل مجتمعه، ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التنشئة بأنماطها الاجتماعية والسياسية والوطنية، وتتميز بنوع خاص من الولاء وخدمة الوطن في أوقات السلم والحرب، والتعاون

مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردى الرسمى فى تحقيق الأهداف المجتمعية. وفى حقيقتها علاقة بين فرد ودولة، كما يحددها قانون تلك الدولة، متضمنة مرتبة من الحرية، وما يصاحبها من مسؤوليات، وما تمنحه من حقوق سياسية، مثل حقوق الانتخاب وتولى المناصب العامة. وبعضوية كاملة فى دولة. وأن ثقافة المواطنة لا تُورث بل تُكتسب عبر قنوات عدة، منها داخلية من خلال التنشئة السياسية، وأخرى خارجية قادمة بالثقافة. وأن الأفراد اقل مقاومة للتغير فى العناصر المادية للثقافة وأكثر قبولاً لها وإقبالاً عليها، على عكس العناصر المعنوية، إذ أن من الملاحظ والثابت أنهم يقاومون هذا التغير ويعارضونه معارضة شديدة (الساعاتي، 1983). لأن الناس عموماً يفضلون التمسك بالتراث وعدم تغييره بالواقع الجديد إلا اذا ثبت فائدته. والأدوات المادية عموماً أسرع فى انتشارها، من الأفكار التي يتطلب انتشارها تغيرات أقوى فى طراز القيم الموجودة فى المجتمع المستعير (كلاكهون، 1949).

3-2-1-2 الهوية Identity

تعد الهوية من أكثر القضايا حساسية فى نشأة المجتمعات واستمرارها، بل هي من أكثر المفهومات حضوراً فى حقول العلوم الإنسانية، إذ هي حاضرة فى تخصصات الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا وعلوم السياسة وغيرها. وتبدو كلمة الهوية، لغوياً، كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة لتدل الكلمة على ماهية الشخص أو الشيء المعنى كما هو فى الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها. وجاء فى التعريفات للجرجاني أن الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق، اشتمال النواة على الشجرة فى الغيب المطلق (الجرجاني، د.ت). والهوية من الناحية الفلسفية، تعبر عن ضرورة منطقية بعينها فهي تؤكد أن الموجود هو ذاته دوماً، لا به ما ليس منه، فهو عين ذاته كما تقول مقولة الهوية، فالشخص هو مهما اعتراه من تغيرات (المنير، 2000). والهوية من منظور علم النفس، أن يكون الشيء لنفس الشيء، أو مثيله من كل الوجوه الاستمرار والثبات وعدم التغير (هينتنجتون، 1999). إن هوية الشيء هي ثوابته التي

تتجدد لا تتغير، وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها (عمارة، 1991). وعليه إذن فإن الهوية هي الخصوصية والاستمرار والتفرد "فما يميز هوية كل منا كونها فريدة غير قابلة للاستبدال وغير متشابهة مع غيرها (معلوف، 2004). ويذكر محمد عمارة أن الهوية محصلة جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود واللسان الذي يجري التعبير به والتراث الثقافي الطويل المدى (معلوف، 2004). وإذن فالدين هو وجه من وجوه الهوية بل إن هذه الهوية الدينية هي الأبرز وهي السمة الجوهرية لثقافة أمة. لكن هذه الهوية تصدعت وبدأت تهاوى جراء تأثير العولمة التي زعزعت الثوابت العقدية والأنماط السلوكية والأعراف والتقاليد. لأنها تمثل شعور الفرد أو الجماعة بالانتماء والطريقة التي يرى بها الناس انفسهم، بوصفهم افرادا في مجموعات يشعرون بانهم جزء منها، والصفات او الخصائص المهمة التي يستخدمونها لوصف انفسهم للآخرين (عبدالله، 2018).

1-3 ثقافة المواطنة.. رؤية استشرافية

على الرغم من هذه التحديات، تقابلها مظاهر مشرقة قد تم توظيفها في التثقيف لمفهوم المواطنة، منها تعزيز قيم التسامح والتعايش وقبول الآخر واحترام الخصوصية الثقافية المحلية للأقليات. وتوظيف المشتركات الثقافية في الحياة الاجتماعية، من خلال التضامن الاجتماعي في الأزمات الأمنية التي عصفت بمجتمعنا العراقي، استقبال النازحين الذين طالهم التهجير القسري من مناطقهم، ورفض امتحان كرامتهم، بوصفهم شركاء بالوطن. بهدف ايصال رسائل متعددة الأبعاد الى المحيط الخارجي، ومن ثم تلقينها للأجيال اللاحقة في المحافل الاجتماعية والأدبية والملتقيات الثقافية بدلا من التنافر والتنازع، وتأكيد التواصل والتقارب والتماسك في اندماج اجتماعي وثقافي. لذا فان التركيز على القواسم الإنسانية المشتركة والابتعاد عن الاختلافات الثقافية وتجنّبها لحساسيتها وتأثيرها في تأجيج الصراعات. وتنمية سلوكيات وممارسات التواصل في مجالات العمل والعلم وتعزيز وتدعيم قيمنا الاجتماعية والأخلاقية من خلال الانفتاح السياسي والحرية في المشاركة وتوزيع المهام في السلطة والادارة والقيادة. وهذا سيخلق يقظة فكرية مستديمة

تحافظ على التواصل المستمر مع الشريك بالوطن. مما سيجعلهم يشعرون بذاتهم وكيوناتهم واستقلاليتهم. وبالتالي تمتين الأواصر والروابط المجتمعية والحد من الانحراف عن المسار الوطني، لان التنشئة الاجتماعية والسياسية السوية هي التي تخلق الأمن الاجتماعي والسياسي للفرد والأسرة والمجتمع.

إن مواجهة الواقع المجتمعي بدء من التدهور الأمني وانعكاساته على الفقر والفاقة والبطالة والأمية والجهل، نرى الأم الأمثلة العاملة تنجب الطبيب والمهندس والمعلم ورجل الدين وغيرهم. وكذلك الأب الكادح في عمله ووظيفته يحاول ان يضمن مستقبل أبنائه المجهول في مجتمع الحروب والحصارات. متسلحين في ذلك كله بثقافة انتماء وولاء للوطن لا للقومية ولا للحزب ولا للطائفة. والاعتراف بوجود ثقافات مختلفة، واحترام حق الغير وحرية. والاعتراف بوجود ديانات مختلفة، وفهم وتفعيل أيديولوجيات سياسية مختلفة، والفعالية الاجتماعية والمشاركة في نشر السلام وإدارة الصراعات بطريقة اللا عنف. ومن الطبيعي حين يضعف النظام السياسي ويتلكأ في وظيفته بأن يكون حاضنة للتنوع، فسيكون أقرب للتسبب بإستنبات وخلق بذور العنف والتطرف والشقاق. وهذا قد يكون نتاج تراكم لإرهاصات وظروف سياسية واجتماعية وثقافية، والتي بدورها يمكن أن تؤدي لإشكالية الثقيف المناطقى والفئوى والمذهبي المتقادم الذي ساد الحياة العربية عموما والعراقية خصوصا، وهذا سيختزل الدولة بشعار يُعتمد كمرتكز للتفوق العرقى وكآلية للتسلط والاستبداد والتمهيش والتفرد، وإقصاء واستبعاد الشرائح الأخرى. وهذه الثقافة ستعجز في التعبير عن تنوع الأمة وإجماعها السياسى، والتي قد تصل إلى تهديد الاستقرار والسلم الأهلى للعديد من ثقافته المحلية، ومرشحة لتطورات قد تصيب وتنزع المجتمع في أتون نزاعات طائفية، تستنزف قواه وتضعفه. والتي تتجلى مثلا في شريحة الشباب بوصفها اهم الطاقات الكامنة للقيادة والتقدم، من خلال دورها في تنمية وتعزيز قيم التواد والتواصل والتراحم والتسامح والتعايش للوصول إلى روح المواطنة بوصفها الوعاء

الذي يحتوي الثقافات الفرعية المتنوعة المكونة للمجتمع. واختزال الهوية وتختزل المسافات ما بين جميع الأطراف والأطراف والمكونات الأصيلة التي تشكل الفسيفساء الوطني العراقي. ان الكيان النفسي والاجتماعي للفرد تميزه الخصوصية الثقافية في ملامح متفردة اكسبتها البنية الاجتماعية وحداتها الرئيسية. وفي ذلك اتسقت الخاصية الذاتية مع نظيرتها الاجتماعية في رسم العالم الاجتماعي للفرد وفق رؤى تجسيد الأشياء بمعانٍ خاصة، فبموجب ذلك يعتمد الفرد تبعاً لتصوراتهِ الذهنية إلى إدراك وفهم محيطه الاجتماعي. ومن هنا كان سعيه في التشكيل وإعادة انتاج ذاته سمة دائمة يستقر مقاومتها مع متغيرات الحياة الاجتماعية. فكان لابد من تغذية الذات بالتثقيف المعرفي الذي يستشعر من خلاله الفرد حالة من الإشباع السوية حيث يتشكل الوعي بإطار شمولي قوامه الفهم والقبول لكل أشكال التنوع والتعدد في الحياة الاجتماعية، وبالصيغة التي تتناسب فيه نافذة الذات مع اطلالتها على العالم الخارجي.

ان تقديم الشخصية في المجتمع الذي نتطلع لصورته الارتقائية يتطلب جهوداً واسعة النطاق في بناء وترسيخ القيم والممارسات البناءة. وتتولى عملية التنشئة الاجتماعية بمصادرها المتنوعة وفي مقدمتها التنشئة الأسرية التي تتولى صناعة الشخصية وتقديمها للمجتمع إضافة إلى المؤسسة الدينية والتربوية والإعلامية. ووفقك لذلك يمكن للشخصية ان تتصدى في متانة صناعتها، لتيارات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، قد تضعف استقرار المجتمع وتهدد أصالة ثقافته. اذا ما علمنا ان التثقيف المعرفي الذي ننشده، يعنى بإقصاء الذات من بعدها الأحادي الذي يتمحور في دائرة الرغبات والاحتياجات وضيق الأفق.

ان تضخيم قابلية الدور الأسري على وجه الخصوصية إضافة إلى المؤسسات الأخرى من خلال التأكيد على تشرب قيم المواطنة والشعور بالمسؤولية الاجتماعية تجاه المجتمع، يعد من الأهداف التنموية التي يسعى إليها الأكاديميون في اختصاصات متعددة. وبالتالي

فعملية التثقيف المعرفي صيغة تراكمية بمنطلقاتها الذاتية والاجتماعية، حيث تعكس خبرات وتصورات حددت أطرها ثقافة المجتمع، فرسمت بمجملها ملامح تلك الشخصية. ان التحديات التي يواجهها مجتمعنا العربي، ومنه مجتمعنا العراقي، تستلزم برامج عمل لتأهيل وتدريب القائمين على عملية التثقيف المعرفي. لذا فهي توصف بانها شخصية تعاني نسبياً في بعض أحوالها، من فجوة فكرية تفرضها حالة التنافر المعرفي بين ما نشأت عليه وما تعتمد سلوكياً. فطبيعة الحياة الاجتماعية أحدثت اختلالاً بين البناء المعرفي والقيمي للفرد من جهة، وبين ما يسلكه في ظل الاضطرابات الاقتصادية والسياسية من جهة أخرى. وبالتالي فإن ذلك الانفصام في العلاقة بين الفرد والمؤسسة الحاكمة، قد تنعكس سلباً على قيمة المواطنة مما يهدد ديمومة المجتمع واستقراره.

2-3 الشخصية رأس مال معرفي نحو مجتمع المواطنة

لما كانت الشخصية في مستوى تشكيلها وطبيعة اتساقها مع القواعد الاجتماعية تجسد روح المواطنة، فإن الملامح الذاتية الاجتماعية للشخصية نتاج معرفي يتجلى ثراؤه بهيمنة المواطنة في مفاصل الأنشطة الاجتماعية. ومن خلال النمو الاجتماعي للفرد وما يكتسبه من محيطه الثقافي تتشكل معارفه التي تطبع شخصيته بطابع خاص. وفي ذلك كان للتثقيف المعرفي انعكاساته الفكرية والسلوكية في صياغة الشخصية وتحديد طبيعتها. لذلك فان صياغة شخصية الفرد تشير إلى طبيعة المعرفة التي تلقاها، فتلك الصياغة تنصلق فيها الطبيعة الفطرية للفرد، والتي يتضح فيها سلوكه الانفعالي، وطبيعته الادراكية في تمايزها عن الآخرين.

ومن جانب آخر فإن البيئة الاجتماعية تنقل ثقافة المجتمع عبر قنواتها المتنوعة، التي تضيف سمات تشكيلها في شخصية الفرد. وتعد الأسرة هي البيئة الاجتماعية الاولى التي ترسم شخصية الفرد وتحدد ملامحها. فخاصية العناية والتدريب للطفل تنظم إلى حد كبير تكوينه النفسي (سليم ح، 2009). كما تؤدي العلاقات العاطفية داخل الأسرة دوراً هاماً في تحديد النمط السلوكي. فالجو الأسري السيئ لا يتيح إشباع الحاجة إلى الأمن

والانتماء وتقدير الذات. فالإشباع العاطفي في الأسرة يعتبر صمام الأمان في التكيف الاجتماعي للفرد. كما أن إصغاء الآباء إلى أسئلة الأبناء، وفهم مشاعرهم وتقبل أفكارهم يساعد في عملية التشكيل المعرفي الصحيح، وتحقيق التوازن الانفعالي السليم. إضافة إلى أهمية تقديم المعلومات بشكل مبسط وتشجيعه على الحوار والمناقشة (سليم ح.، 2009). لأن الأبناء يعيشون في عصر له سماته المعرفية الخاصة في ظل ثورة المعلومات التي تحتم آلية تعليم تناسبها. ولذا فإن طبيعة التفاعل بين الآباء والأبناء وأساليب التوجيه والتوعية التي تناسب مقتضيات العصر وتحافظ على ثقافة المجتمع وأصالته تنتج شخصية متوازنة تتسم بالاستقرار والانسجام في الحياة الاجتماعية (الشماس، 3-9-2022). في حين أن الجو الأسري الذي يسوده التزمت والصرامة قد يولد فيما بعد الشعور بالحدود وضعف الانتماء. لهذا كانت متطلبات التشكيل السوي للشخصية أن يعتمد الآباء التوعية المستمرة بأساليب ملائمة ومناقشتهم في موضوعات مختلفة تبعد عنهم التعصب الفكري وتغرس فيهم قيم المحبة والتعايش (الشماس، 3-9-2022).

ومن ثم يأتي دور المدرسة في تشكيل النمط السلوكي للفرد، وتطبعه على القيم الإنسانية التي تعزز الانتماء للوطن، كما إنها تؤكد على أهمية المشاركة السياسية، والاعتزاز بالهوية الوطنية (قويدر، 2019). وتتنوع المعرفة التي تقدم للفرد منذ المراحل الدراسية الأولى، ويؤدي المعلم دوره في تشجيع الطلبة على الإبداع والابتكار، واكتساب المعلومات، ويخلق لديهم الحافز نحو المعرفة (سمان، 1998). كما تعنى بتعليم الفرد مهارات التحليل والتعلم الذاتي، وتوظيف المعارف وتقبل نقد الآخرين واحترام الرأي (قويدر، 2019). أما الجامعة فتستكمل دور المدرسة وتتظافر معها بالتأثير في اتجاهات الأفراد وسلوكهم إذ تعنى بتقديم المعرفة وتنمية المهارات وترسيخ القيم التي تنمي المجتمع وتطور كفاءاته. فقوة المجتمعات تكون من خلال تطوير معايير جديدة تواكب التقدم العلمي، وتأهيل الطلبة للاستفادة من طاقاتهم.

وفي اتجاه مشابه فإن لوسائل الإعلام خاصيتها في التأثير على الأفراد وتحديد سلوكياتهم من خلال اعتماد عنصر التشويق والإثارة والتكرار. فما يشاهده الفرد من محتوى إعلامي معين فإنه يكون دافع لتوليد المعرفة لديه، وزيادة إدراكه ووعيه باتجاهات مختلفة تبعاً لطبيعة المادة المعروضة (يونس، 2015). وأن المؤسسة الإعلامية تسهم في البناء المعرفي للفرد، ورسم ملامح هويته من خلال تغذيته بالمعلومات المتنوعة. والتوجيه نحو المعرفة (سلطاني، د.ت). فوظيفة التثقيف المعرفي التي تعتمدها المؤسسة الإعلامية تمثل في أحد مجالاتها بنشر ثقافة المجتمع، حماسهم في تدعيم التماسك الاجتماعي، والتأكيد على احترام الثقافات المتنوعة.

وتؤدي المؤسسة الدينية دورها من خلال تناولها طبيعة المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وكيفية التعامل معها ومعالجتها. وتعنى بتشكيل رأي عام قوامه الالتزام بالقيم الدينية، والسعي للحفاظ على استقرار المجتمع وتنميته، كي تنظم العلاقات الاجتماعية على أسس العدالة والمساواة والاحترام (الخطيب ا، 2003). وهكذا نجد أن عملية التثقيف لا تعتمد الاستيراد بل أنها ضرورة التفاعل وإدراك ما يناسب المجتمع العربي ويعبر عن تراثه وعراقته (صادق، 2001). كما أن للفرد دوره في عملية التثقيف المعرفي فتصقل شخصيته وتنمي قدراته في إطار اتجاهاته المعرفية. ويشير سلامة موسى إلى أهمية التثقيف الذاتي من خلال تأكيده بأن السبيل إلى الحياة السعيدة لا يكون إلا بتثقيف العقول وتربية النفوس بالمعرفة. وبأن الخطوة الأولى للثقافة هي المعرفة التي تقود إلى الفهم. ومن ثم يكون للفرد الآراء والحكمة وبدورها تحيل إلى الجانب العاطفي وكل ذلك يشير إلى أسلوب الحياة (موسى، 2012).

الاستنتاجات:

إن شخصية الفرد تجسد قراءة خاصة للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها من المجالات التي يميز فيها الفرد المعاني في الأوضاع الحياتية المتنوعة. وفي ذلك فإن التثقيف المعرفي يُعنى بجودة الحياة من خلال الحفاظ على سلامة المجتمع، وأمنه

واستدامة تنميته في كافة الميادين. إذ أن البناء الرصين للشخصية يعد اللبنة الأساسية في مواجهة التيارات والتغيرات المتتابة التي قد يكون لها تداعياتها الخطيرة في المجتمع. وفي مجال الحديث عن الشخصية العراقية فإن التثقيف المعرفي يزيد من متانة وصلابة هذه الشخصية، التي تتجلى في الشواهد التاريخية بقدرتها على التكيف مع المستجدات، ومجابهة التحديات بفعل توالي الأحداث والتغيرات التي عصفت بالمجتمع، والذي شكّل حالة من التآلف مع الأزمت. وإبداع السلوكيات التي توصف متانة الشخصية وقوتها والاحتفاظ برواسمها.

هكذا نجد أن التثقيف المعرفي يتسم بأنه تحفيزي في مستوى المسؤولية باتجاهين:

1. المسؤولية القيمية: تُنشّط حالة بمستوى عالٍ من الحُكم على الأشياء والموضوعات من خلال البحث في المعاني وتقديم رؤى متجددة للعالم. وإيجاد حالة من الاتساق الفكري بين الذات، والمستجدات الاجتماعية.
2. المسؤولية التفاعلية: تعمّق عملية التثقيف المعرفي من مسؤولية الفرد تجاه حياته الاجتماعية. إذ يعلن الوعي حالة معرفية تصلح للتفاعل مع المعطيات المتنوعة يستدرج منه السمة العقلانية والوجدانية في طابع متوازن دون المساس بالثوابت الدينية والاجتماعية، وبالصيغة التي يكون فيها الفرد فاعلاً مؤثراً في مجتمعه بالشكل السليم.

المراجع

- .New York .(1962) . *Encyclopedia of social sciences the Macmillan*
- التنمية السياسية، البحرين معهد. (2014). *معجم المصطلحات السياسية*، البحرين.
- ابراهيم الخطيب. (2003). *ونعمان النشئة، التنشئة الاجتماعية*، ، عمان: دار القيم للنشر.
- ابن خلدون. (2012). *المقدمة*.
- احمد الخشاب. (1971). *دراسات انثروبولوجية*. مصر: دار المعارف.
- أحمد زكي بدوي. (1993). *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية*. بيروت: مكتبة لبنان.
- أمين معلوف. (2004). *الهويات القاتلة*. (ترجمة نهلة بيضون، المترجمون) لبنان: دار الفرابي.
- جيل فيريول. (2011). *معجم مصطلحات علم الاجتماع*. (أنسام الأسع، المترجمون) بيروت: مكتبة الهلال.
- جيهان سليم. (2003). *عولمة الثقافة واستراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حسين بن سليم. (2009). *دور الأسرة في ترسيخ قيم المواطنة* (المجلد مجلد 12). الجزائر: مجلة تطوير العلوم الاجتماعية.
- حصباية رحمة وبورقيبة قويدر. (2019). *أهمية التربية في المدرسة لترسيخ قيم المواطنة* (المجلد عدد 2). الجزائر: مجلة سوسيولوجيا.
- خلف الله سمان. (1998). *الحوار وشخصية الطفل*. الرياض: مكتبة العبيكان.
- زكريا الشربيني ويسرية صادق. (2001). *تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته*. القاهرة: أميرة للطباعة.
- سامح فوزي. (2007). *المواطنة*. مركز القاهرة لدراسة حقوق الانسان.
- سامية الساعاتي. (1983). *الثقافة والشخصية* (المجلد ط2). مصر: مركز الكتب الثقافية.
- سامية محمد جابر. (1990). *علم الإنسان*. بيروت: دار العلوم العربية.

- سعد الحاج بكري. (بلا تاريخ). على من تقع مسؤولية ثقافة المعرفة. <https://www.aleqt.com>
- سعد علي الحاج بكري. (بلا تاريخ). على من تقع مسؤولية ثقافة المعرفة. <http://www.aleqt.com>
- سلامة موسى. (2012). كيف نربي أنفسنا. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- سمير سعيد حجازي. (2006). معجم مصطلحات العلوم الإنسانية ونظرية الثقافة. القاهرة: مكتبة ابن سينا.
- سمير سعيد حجازي. (2006). معجم مصطلحات العلوم الإنسانية ونظرية الثقافة. القاهرة: مكتبة ابن سينا.
- صموئيل هينتنجتون. (1999). صدام الحضارات (المجلد 2). (ترجمة طلعت الشايب، المترجمون)
- علي بن محمد الشريف الجرجاني. (د.ت). معجم التعريفات. دار الفضيلة.
- علي سلطاني. (د.ت). دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية.
- علي وطفة. (1995). الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي. بيروت: مجلة المستقبل العربي.
- عمرو خيرى عبدالله. (2018). دليل المصطلحات العربية في دراسات السلام وحل النزاعات. بغداد، العراق: جمعية الأمل العراقية.
- عيسى الشماس. (2022-9-3). موسوعة التربية الأسرية، -. <http://www.pdf-books.org>
- غي روشيه. (1983). مدخل إلى علم الاجتماع العام. (مصطفى دندشلي، المحرر) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- كلايد كلاكهون. (1949). الإنسان في المرأة. (ترجمة شاكر مصطفى سليم، المترجمون) بغداد- نيويورك: مؤسسة فرانكلين.
- لطفي الشربيني. (2004). معجم مصطلحات الطب النفسي. الكويت: مركز تعريب العلوم الصحية.

- مجدي يونس. (2015). دور الجامعة في تحقيق مجتمع المعرفة لمواكبة التطور المعلوماتي- دراسة ميدانية بجامعة القصيم (المجلد مجلد 8). المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي.
- مجموعة مؤلفين. (2007). المطول في علم الاجتماع (المجلد ج2). (إشراف ريمون بودون، المحرر، و ترجمة د. وجيه سعد، المترجمون) دمشق، سوريا: الهيئة السورية العامة للكتاب.
- محمد الخطيب. (2005). الأنثروبولوجيا الثقافية. دمشق، سوريا: دارعلاء الدين.
- محمد العباسي. (2022/9/16). الثقافة المعرفية وأهميتها في الحوار والتطور الفكري. (http://www.akbaralkhaleej.com، المحرر) جريدة أخبار الخليج، البحرين.
- محمد خالد أبوعزام. (2021). إدارة المعرفة والاقتصاد المعرفي. عمان: دارزهدى للنشر.
- محمد عمارة. (1991). مخاطر، العولمة على الهوية الثقافية. هضة مصر.
- محمود سمير المنير. (2000). العولمة وعالم بلا هوية. مصر: دار الكلمة للنشر.